القول الحميد

في

علم التوحيد

للسنة الأولى في المعاهد الدينية الاسلامية

تأليف

حافظ حسن المسعودي

من علماء الأزهر الشريف

ومدرس بوزارة المعارف العمومية

[حقوق الطبع محفوظة للمؤلف]

الطبعة الأولى

١٣٥٥هـ ١٩٣٧م

دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف بشارع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين سيدنا محمد النبي الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين

« أما بعد » فهذا مختصر لطيف في علم التوحيد ، يشتمل على مقرر السنة الأولى في المعاهد الدينية الإسلامية توخيت فيه سهولة المبنى وجزالة المعنى وسميته « القول الحميد في علم التوحيد »

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به النفع العميم ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير

علم التوحيد

التوحيد لغة : العلم بأن الشيء واحد .

واصطلاحا : علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية

وموضوعه : ذات الله تعالى ، وذات رسله من حيث مايجب ، وما يستحيل ، وما يجوز : والممكنات من حيث الاستدلال بها على وجود صانعها . والسمعيات من حيث اعتقادها

وثمرته : الاقتدار التام على إثبات العقائد الدينية والفوز بالسعادة الأبدية .

وفضله : أنه أشرف العلوم لكونه متعلقا بذات الله تعالى وذات رسله عليهم الصلاة والسلام .

وأول من صنف فيه : الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه

تَعْرِيفُ الْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحِيلِ وَالْجَائِزِ

الْوَاجِبُ مالا يَقْبَلُ الْانْتِفَاءَ . كَالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ لله تَعَالَى وكالتحيز للجرم أى أخذه قدر ذاته من الفراغ

وَالْمُسْتَحِيلُ : ما لا يقبلُ الثُّبوتَ : كَالشَّرِيكِ لله تَعَالَى وَكَخُلُوِّ الْجِسْمِ مِنَ الْحَرَكَةِ ، وَالسُّكُونِ

وَالْجَائِزُ مايَقْبَلُ الثُّبُوتَ وَالْانْتِفَاءَ عَلَى سَبِيلِ التَّنَاوُبِ كَالْحَرَكَةِ أَوِ السُّكُونِ لِلْجِسْمِ

الصِّفَاتُ الْوَاجِبَةُ لله تَعَالَى

يَجِبُ لله تَعَالَى إِجْمَالًا كُلُّ كَمَالٍ . وَتَفْصِيلًا ثَلَاثَ عَشْرَةَ صِفَةً ، وَهِيَ الْوُجُودُ ، وَالْقِدَمُ ، وَالْبَقَاءُ ، وَالْمُخَالَفَةُ لِلْحَوَادِثِ ، وَالْقِيَامُ بِالنَّفْسِ ، وَالْوَحْدَانِيَّةُ ، وَالْحَيَاةُ ، وَالْعِلْمُ ، وَالْإِرَادَةُ ، وَالْقُدْرَةُ ، وَالسَّمْعُ ، وَالْبَصَرُ ، وَالْكَلَامُ .

ولنشرع فى تعريف هذه الصفات وذكر أدلتها فنقول :

الصِّفَةُ الْأُولَى الْوُجُودُ

هُوَ صِفَةٌ ثُبُوتِيَّةٌ يَدُلُّ الْوَصْفُ بِهَا عَلَى نَفْسِ الذَّاتِ دُونَ مَعْنًى زَائِدٍ عَلَيْهَا

وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعَالَى هُوَ : أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْمُحْدَثَاتِ مِنْ مُحْدِثٍ إِذْ لَا يُعْقَلُ وُجُودُهَا مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ لَهَا وَذَلِكَ الْمُوجِدُ هُوَ اللهُ تَعَالَى .

وَأَمَّا الدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : «وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا »

وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ: « ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ »

الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ الْقِدَمُ

هُوَ صِفَةٌ سَلْبِيَّةٌ يَدُلُّ الْوَصْفُ بِهَا عَلَى سَلْبِ الْحُدُوثِ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّهُ تَعَالَى لَا أَوَّلَ لِوُجُودِهِ

وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى وُجُوبِ الْقِدَمِ للهِ تَعَالَى : هُوَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدِيمًا لَكَانَ حَادِثًا. وَلَوْ كَانَ حَادِثًا لَافْتَقَرَ إِلَى مُحْدِثٍ وَهُوَ مُحَالٌ .

وَأَمَّا الدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى « هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ »

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ الْبَقَاءُ

هُوَ صِفَةٌ سَلْبِيَّةٌ يَدُلُّ الْوَصْفُ بِهَا عَلَى سَلْبِ الْفَنَاءِ وَمَعْنَاهُ : أَنَّهُ تَعَالَى لَا آخِرَ لِوُجُودِهِ

وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى وُجُوبِ الْبَقَاءِ للهِ تَعَالَى : هُوَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَجِبْ لَهُ الْبَقَاءُ لَكَانَ وُجُودُهُ جَائِزًا . وَلَوْ كَانَ جَائِزَ الْوُجُودِ لَمْ يَكُنْ قَدِيمًا ، كَيْفَ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ قَدِيمٌ .

وَأَمَّا الدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ »

وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ : « وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَالْأَكْرَام »

الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ الْمُخَالِفَةُ لِلْحَوَادِث

هِيَ صِفَةٌ سَلْبِيَّةٌ يُدْلُ الْوَصْفُ بِهَا عَلَى سَلْبِ الْمُمَاثَلَةِ لِلْحَوَادِث

وَمَعْنَاهَا : عَدَمُ مُمَاثَلَتِهِ تَعَالَى لِشَيْءٍ مِنْهَا .

فَلَيْسَ اللهُ جِسْمًا ، وَلَا صِفَةً ، وَلَا بَسِيطًا ، وَلَا مُرَكَّبًا وَلَا حَيَوَانًا ، وَلَا نَبَاتًا ، وَلَا جَمَادًا ، وَلَا مُتَحَرِّكًا ، وَلَا سَاكِنًا . وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ .

وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى وُجُوبِ مُخَالَفَتِهِ تَعَالَى لِلْحَوَادِث هُوَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مُمَاثِلًا لَهَا لَكَانَ حَادِثًا مِثْلَهَا ، وَكَوْنُهُ تَعَالَى حَادِثًا مُحَالٌ لِثُبُوتِ قِدَمِهِ .

وَأَمَّا الدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ : لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » (١)

(١) كفوا : أى مثلا

الصِّفَةُ الخَامِسَةُ القِيامُ بالنَّفْسِ

هُوَ صِفَةٌ سَلْبِيَّةٌ يَدُلُّ الوَصْفُ بِهِ عَلَى سَلْبِ افْتِقَارِهِ إِلَى مَحَلٍّ يَقُومُ بِهِ ، أَوْ إِلَى مُخَصِّصٍ .

وَالدَّلِيلُ العَقْلِيُّ عَلَى وُجُوبِ قِيامِهِ تَعَالَى بِنَفْسِهِ هُوَ أَنَّهُ لَوِ افْتَقَرَ إِلَى مَحَلٍّ « أَيْ ذَاتٍ يَقُومُ بِهَا » لَكَانَ صِفَةً ، وَلَوِ افْتَقَرَ إِلَى مُخَصِّصٍ « أَيْ مُوجِدٍ » لَكَانَ حَادِثًا وَكِلَاهُمَا مُحَالٌ

وَأَمَّا الدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ »

وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ (١) »

الصِّفَةُ السَّادِسَةُ الوَحْدَانِيَّةُ

هِيَ صِفَةٌ سَلْبِيَّةٌ يَدُلُّ الوَصْفُ بِهَا عَلَى سَلْبِ التَّعَدُّدِ

---

(١) الحميد: أى المحمود

فى الذّات وَالصّفات وَالْأَفعال ،

أَمَّا الْوَحْدَةُ فى الذّات فَمَعْناها : أَنَّ ذاتَهُ تَعالَى لَيْسَتْ مُرَكَّبَةً مِنْ أَجْزاء ، إِذْ لَوْ كانَتْ كَذَلِكَ لَاحْتاجَتْ إِلَى أَجْزائِها وَإِلَى مَنْ يُرَكِّبُها ، فَتَكُونُ مَسْبُوقَةً بِالْعَدَمِ . وَهَذا هُوَ الحَدوثُ وَهُوَ باطِلٌ . وَمَعْناها أَيْضًا : أَنَّ ذاتَهُ تَعالَى لَيْسَ لَها مُماثِلٌ . وَأَمَّا الْوَحْدَةُ فى الصّفات فَمَعْناها : أَنَّهُ تَعالَى لَيْسَتْ لَهُ صِفَتانِ مِنْ جِنْسٍ واحِدٍ ، إِذْ لَوْ كانَ لَهُ حَياتانِ مَثَلًا لَكانَ حَيًّا بِإِحْداهُما ، فَإِنْ كانَ حَيًّا بِالْأُخْرَى ، لَزِمَ تَحْصيلُ الْحاصِلِ ، وَإِلَّا لَزِمَ وُجُودُ الصِّفَةِ بِدُونِ لازِمِها وَهُوَ مُحالٌ وَمَعْناها أَيْضًا : أَنَّهُ لَيْسَ لِغَيْرِهِ تَعالَى صِفاتٌ تُشْبِهُ صِفاتِهِ تَعالَى

وَأَمَّا الْوَحْدَةُ فى الْأَفْعالِ فَمَعْناها : أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِعْلٌ مِثْلُ فِعْلِهِ تَبارَكَ وَتَعالَى

وَأَمَّا الدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ »

وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا »

الصِّفَةُ السَّابِعَةُ الْحَيَـــاةُ

هِيَ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى ، تُصَحِّحُ لَهُ أَنْ يَتَّصِفَ بِالْعِلْمِ ، وَالْإِرَادَةِ ، وَالْقُدْرَةِ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ .

وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَـــلَى وُجُوبِ الْحَيَاةِ لِلهِ تَعَالَى : هُوَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا لَمَا وُجِدَ هَذَا الْعَالَمُ

وَأَمَّا الدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ »

وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ : « اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ »

الصِّفَةُ الثامنَةُ العـــلْمْ

هُوَ صفَةٌ قَدِيمَةٌ قائِمَةٌ بذاته تعالَى تتعلَّقُ بالشيء علَى وَجْه الْاحاطَة

وَالدَّليلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى وُجُوب الْعلْم لله تعالَى : هُوَ أَنَّهُ فاعلٌ فعْلاً مُتْقَنًا . وَكُلُّ مَنْ كانَ كَذَلكَ فَهُوَ عالِمٌ بإجْماله وَتفاصيله .

وَأَمَّا الدَّليلُ النَّقْلِيُّ فَقَوْلُهُ تعالَى : « وَعنْدَهُ مَفاتحُ الْغَيْب لا يَعْلَمُها إلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَما تَسْقُطُ منْ وَرَقَة إلاَّ يَعْلَمُها »

الصِّفَةُ التَّاسعَةُ الْارَادَةُ

هِيَ صفَةٌ قَدِيمَةٌ قائِمَةٌ بذاته تعالَى تُخَصِّصُ الْمُمْكنَ ببَعْض ما يَجُوزُ عَلَيْه عَلَى وَفْق الْعلْم .

وَالدَّليلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى وُجُوب الْارادَة لله تعالَى : هُوَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُريدًا ، لَكانَ مُكْرَهًا ، وَكَوْنُهُ مُكْرَهًا مُحالٌ .

وَأَمَّا الدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)

الصِّفَةُ الْعَاشِرَةُ الْقُدْرَةُ

هِيَ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى يَتَأَتَّى بِهَا إِيجَادُ كُلِّ مُمْكِنٍ وَإِعْدَامُهُ ، عَلَى وَفْقِ الْإِرَادَةِ

وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى وُجُوبِ الْقُدْرَةِ لِلَّهِ تَعَالَى ، هُوَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا لَمَا وُجِدَ هَذَا الْعَالَمُ ، الَّذِي ثَبَتَ بِالْبُرْهَانِ حُدُوثُهُ وَافْتِقَارُهُ إِلَى مُحْدِثٍ .

وَأَمَّا الدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

الصِّفَةُ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ السَّمْعُ

هُوَ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى ، تَنْكَشِفُ بِهَا الْمَوْجُودَاتُ انْكِشَافًا تَامًّا يُغَايِرُ الِانْكِشَافَ بِالْعِلْمِ

وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى وُجُوبِ السَّمْعِ لِلَّهِ تَعَالَى : هُوَ أَنَّ